ما لبثت قليلاً حتى دخل عليها بعض أحفادها يتصايحون، وكل يريد أن يشرح لها المشكلة، وبين يديهم لعبة تشبه الشطرنج يسمونها (البرسيس) قال أحدهم إنه دوري، وقال صغير مخاطباً جدته: إنهم لا يريدون أن يشركوني في اللعبة. يقولون لي أنت صغير. يريدون لي أن أتفرج عليهم فقط. قالت الجدة تحاوره: وما يضيرك أن تكون متفرجاً على اللعبة فلا تكسب ولا تخسر؟ قال الصغير معترضاً: إلى متى سأبقى متفرجاً؟! أريد أن آخذ دوري وألعب. قالت الجدة فإن خسرت؟ فكر قليلاً ثم قال في قوة: أخسر مرة وأربح مرة. المهم ألا أكتفي بالتفرج وهم يلعبون. مالت العجوز إلى ريا وقالت: هذه الثانية، سألت ريا: ماذا تقصدين؟ قالت: هذا الطفل لا يرضى بالتفرج وأقرانه يلعبون. وأنا أعرف واحدة ترضى بأن تكون هي حجر اللعبة. أطرقت ريا بينما أخذت الجدة في الفصل بين أحفادها بهدوء.

قامت ريا تستأذن للخروج شاكرة لمضيفتها كرمها ورعايتها. وقامت العجوز تخرج معها مودعة، عند باب المنزل رأتا طفلاً يقود شويهة بحبل في عنقها، تبادلت المرأتان نظرة سريعة، قالت ريا ضاحكة: هل هذه هي الثالثة؟

ردت العجوز ضاحكة أيضاً: أنا لم أقل شيئاً.

قالت ريا محاولة استدراجها: لكنك أردت أن تقولي، أليس كذلك؟

ردت العجوز مداعبة: فإن أبيت، فهو تشبيه مع الفارق.

قالت تكتم ضحكتها: فما الفارق يا أستاذتي؟

ردت العجوز: أنت جميلة يا ريا، وضحكت المرأتان في فرح وسلمتا مودعتين على أمل تكرار الزيارة.

مشت ريا باتجاه بيتها الصغير، خيل إليها للحظة أن البيت يعج بأولادها وأحفادها، ابتسمت لهذا الخاطر، وتابعت طريقها بثقة.

عند الباب تلقاها زوجها قائلاً: تأخرت! لكنك... - أضاف مستدركاً -: أفضل حالاً الآن؟ قالت في مرح ظاهر: ألم أقل لك: إني كنت على موعد مع الطبيبة؟! ■

هذا الصمت مبحوحاً وهذه أصداؤه

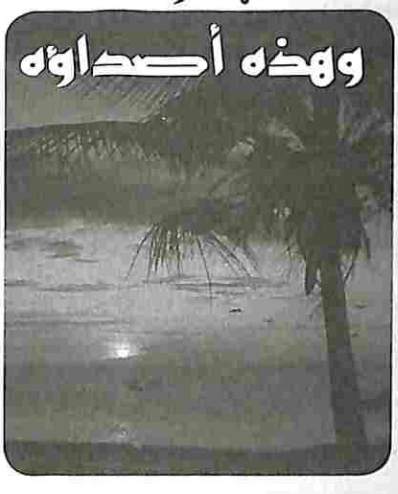

شعر: سعود بن سليمان اليوسف

السعودية

حمل الغروب جنائز الأضواء ... فبقيت أنقش في السكون رثائي

وتلمظت شفة الظلام بقية ... منها، وجفت آخر الأضواء

فغمست في شعري يراع مواجعي ... وسكبت في نفسي مداد غنائي

تقتات أسئلتي الصدى، فيمجها ... فتمجني في حيرتي وشقائي

وعلى رصيف الليل أنتظر الضحى ... عذب الدلال مشقشقاً برجائي

وإذا تطلّبت الدواء بحرقة ... أمسى التعزز منه أعضل داء

جدبٌ، ويورق بالظنون تساؤلي: ... أ لهالك الآمال جهد بقائي؟

أنا إن أعش لمشاعر مطموسة ... فولاء كل البدو للصحراء

أأنا غريبٌ؟ لا جواب! وحشرجت ... للصمت أحرفه، فضج مسائي

وطنٌ شعورك، غير أنك شاعرٌ ... وأشد شيء غربة الشعراء

قد بح صمتي في انتظار إجابة ... حتى سألت، فرددت أصدائي:

«من يغمض العينين عن آماله ... يعش الحياة معيشة الغرباء»